نضرة البهار

في

محاورة الليل والنهار

لناسج بردها * وناظم عقدها * حضرة العلامة
الاديب * والفهامة الاريب * الشيخ
محمد افندي المبارك الجزائري
حفظه الله آمين

ويليها المقالة اللغزيه * والمقالة الادبية
للاستاذ المومأ اليه

نضرة البهار

في

محاورة الليل والنهار

لناسج بردها * وناظم عقدها * حضرة العلامة

الاديب * والفهامة الاريب * الشيخ

محمد افندي المبارك الجزائري

حفظه الله آمين

وبليها المقالة اللغزيه * والمقالة الادبية

للاستاذ المومـا اليه

نضرة البهار

۱۰۵۵ ۲۳۹

في

محاورة الليل والنهار

قال مؤلفها بلغه الله المنى والارب * هذه اولُ مقامةٍ انشأتها في فن الادب * بيدَ اني امعنت النظر ثانيا في تحريرها * واعملتُ الفكر في توشيحها بطرائف الظرائف وتحبيرها * ثم عزّزتها بمقامات فائقه * ومقالاتٍ رائعةٍ رائقه * منها ابهى مقامه * في المفاخرة بين الغربة والاقامه * ومنها غريبُ الانباء * في مناظرة الارض والسماء * ومنها المقامةُ اللغزيه * والمقالة الادبيه * وقد تخلصتُ في جميعها الى مدح السيد السند السري * العارفِ بالله تعالى الامير عبدالقادر الحسني الجزائري * وسببُ تأليفي لهذه المقامة المصونه * مُبشرةٌ وقعت لي في ليلة مباركةٍ ميمونة * وهي اني رايت الامير المشارَ اليه * قد امرني ان انظم قصيدةً في الثناء عليه * ثم اتحفني بجائزة فاخره * وهدية وافية وافره * وابدى لي من لطائف الاشائر ما يتضمنُ بحمد الله اعظم البشائر * فانتبهتُ وقد تملتُ انسا ومرحا * وملتُ من هذه الروءيا طربا وفرحا * وأُلهمتُ ان اقدم بين يدي تلك القصيدة * محاورةً تحتوي على حكم لطيفةٍ وامثال

مفيده * وحين مثلتُ بين يديه * وتلوتها امام جملة من الفضلاء لديه * وصلني بتوجهاته الفخيمة ودعواته العظيمه * وامدني بمديد مننه ووافر منحه العميمه * فانقلبتُ فائزًا بحسن القبول * حائزًا غاية المنى ونهاية المأمول

محمد بن محمد المبارك الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اطلع الشمس ضياء والقمر نورًا * وجعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورًا * والصلاة والسلام على من عنت لمجده الاملاك * وعنته الحضرةُ في خطاب ﴿لولاك لولاك لما خلقتُ الافلاك﴾ وعلى آله الوارثين منه اسمى السجايا والمآثر * واصحابه الآخذين عنه اسنى المزايا والمفاخر * ما تعاقب الصباحُ والمساء * وتناوب الظلامُ والضياء * ﴿وبعد﴾ فاني نظرت ذات يوم في اختلاف الليل والنهار * وما اودع الله في ساعاتهما من

دقائق الحكم والاسرار * واصغيت لما يترجمه لسان الحال * لا سند ذلك اليه دون انتحال * فرويت عنه من حديثهما بدائع وغرائب * وقد قيل « ان في الليل والنهار عجائب »

من لم يؤدبه والداه * ادبه الليل والنهار

وصغت تلك المعاني * في مقامة رقيقة المباني * ذات نثر فائق * ونظم بديع رائق

تكاد من عذوبة الالفاظ * تشربها مسامع الحفاظ

قد ابرزتها في معرض المحاوره * لتجنح اليها ارباب المحاضره * واودعتها غررا من بنات الافكار * ودررا تزهو على البنات الابكار

كلمات لو ان للدهر سمعا مال من لطفها الى الاصغاء

فهي مقامة لطيفة تغني عن مقامات البديع * ومقالة ظريفة تحتوي على بديع المحاسن ومحاسن البديع * بل فكاهة احلى من عيش الصبا * ونفثة ارق من نفحة نسيم الصبا * اخلصت في حسن تخلصها المدح امير المغرب * وضمنتها معنى « المرقص والمطرب » فهي « عنقاء مغرب » * « وسميتها » نضرة البهار * في محاورة الليل والنهار * وذلك انه ابدي السنا والدجى ما هو للاذن قرط وللعين قرّه * فكلما اسفر ذاك عن بياض الغره * قابله هذا بسواد الطره * ثم صار الهزل جدا * واشتد النزاع بينهما جدا * فاستنجد كلٌّ منهما

اميره * وافشى له سره وضميره * واذا بالليل حمل على النهار * فصبغ حمرة وردته بصفرة البهار * وخطر يجر ذيول تيهه وعجبه * مرصعا تيجان مفاخره بدرر شهبه * وقد كساه بدر الكمال برد الجمال * ولوائح المهابة والجلال تلوح عليه في ذلك المجال * فصدر النقول باحاسن رواياته * وحير العقول بمحاسن كناياته * ثم قال « والليل اذا يغشى » « ان في ذلك لعبرةً لمن يخشى » * ففتح باب المناقشة في هذا الفصل * وعقد اسباب المنافسة بقوله الفصل * « فان الحرب اولها كلام » * ثم تنجلي عن قتيل او اسير كلام * ولما بلغ الليل غايته * بزغ الفجر ورفع رايته * وقال اذ جال في معترك المنايا * « انا ابن جلا وطلاع الثنايا » فتقدم في ذلك الميدان وجلى * تالياً قوله تعالى « والنهار اذا تجلى » ثم استوى على عرش السنا والسناء * واطلع شموس طلعته في الارض والسماء * فاعرب عن غوامض الرقائق والحقائق * واغرب في نشر ماانطوى من الاسرار والدقائق * بعبارة تمتزج باجزاء النفوس لنفاستها * و براعة ترتشف من سُلافتها القلوب لسلاستها * فلله دره ما افصحه من ترجمان * قد جلا من نقود معارفه ما ازرى بعقود الجمان * وما انحدر من منبره * حتى ايد دعوى خبره بشاهد مخبره * « فانتدب » اليه الليل * ومال عليه كل الميل * وجعل نجوم النيرات له رجوما * وماغادر

منه اطلالا ولا رسوما * ولما طرز البدر برد الدجى * ووضع اكليله بزهر العلا فاستهوى الحجا* قال احمد من جعلني خلوة للاحباب * وجلوة لعرائس العرفان ونفائس الآداب * وخلقني مثوى لراحة العباد * ومأوى لخاصة النساك والعباد * ولله در من قال فاجاد

ايها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عني نور الوجوه الصباح

اتردد على ارباب المجاهدة بفنون الغرائب * واتودد الى اصحاب المشاهدة بعيون الرغائب * تدور في ساحتهم بدور الحسن والبهاء * وتدار من راحتهم كؤوس الانس والهناء * فتحييهم نغمات السمر * وتحييهم نسمات السحر * فاحيان وصلي بالتهاني مقمره * وافنان فضلي بالاماني مثمره * وحسبي كرامةً اني للناس خير لباس * اقيهم بلطف الايناس من كل باس · ومن واصل الادلاج وهجر طيب الكرى · قيل له (عند الصباح يحمد القوم السرى)

وما الليل الا للمجد مطيةٌ * وميدان سبق فاستبق تبلغ المنى

ففتن بمعاني بيانه البديع · وتفنن في افانين التصريع والترصيع · ثم اتم خطبته بالتماس المغفرة والعفو · واستعاذ بالله من دواهي الغفلة ودواعي اللهو · فوثب اليه النهار وصال عليه صولة ملك قهار · وصعد على منبره ثانيا · وقد اضحى التيه لعطفه ثانيا · فاثنى على من

جلى عنه ظلمة الحجاب · وتجلى له باسمه النور وتوجه بسورة من الكتاب · وزانه بابهى سراج وهاج · فاوضح بسناه السبيل والمنهاج · ثم صاح ايها الليل · هلا قصرت من اعجابك الذيل · ولئن دارت رحى الحرب · واستعرت نار الطعن والضرب · فلأسبين مخدراتك وهي عن الوجوه حاسره · وانت تتلو يومئذ ﴿ تلك اذاً كرة خاسره ﴾ · فما دعاك الى حلبة المفاضلة · ومادهاك حتى عرضت بنفسك للمناضله · وهل دأبك الا الخداع والمكر · وترقب الفرصة وانت داخل الوكر · اما حض القرآن على التعوذ برب الفلق وندب · (من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب) · فبربي يستعاذ من شرك · ويستعان على صنوف صروف غدرك · وهب انك تجمع المحب بالحبيب · اذا جار عليه الهوى وحار الطبيب · فكم يقاسي منك في هاجرة الهجر · ويئن انين الثكلى حتى مطلع الفجر ·

يبيت كما بات السليم مسهدا · وفي قلبه نار يشب لها وقد

فيساهر النجوم · ويساور الوجوم · وقد هاجت لواعج غرامه · وتحركت سواكن وجده وهيامه · فانشد · وزفيره يتصعد

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى · ويجمعني والهم بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا · لي الليل هزتني اليك المضاجع

على ان العاشق الواله · يشكو منك في جميع احواله · فكم قطع اناءك

بمواصلة انينه · متململا من فرط شوقه وحنينه · فلما ان حظي بالوصال ·
تمثل بقول من قال

الليل ان واصلت كالليل ان هجرت
اشكو من الطول ما اشكو من القصر

ولئن افتخرت بدرك الباهر الباهي · فانما تباري ببعض انواري
وتباهي · وهل للبدر عند اشراق الشمس من نور · او لطلعة حسنه
من خدور البطون ظهور · ومن ادعى انك تساويني في الفضل
والقدر · او زعم ان الشمس تقتبس من مشكاة البدر · ومتى استمدت
الاصول من الفروع · (وما اغنى الشموس عن الشموع) · فبي تتجلى
محاسن المظاهر الكونيه · وتحلى بجواهر الاعراض اللونيه · وانى يخفى
حسني وجمالي على مشاهد · او يفتقر فضلي وكمالي الى شاهد ·
وعرضي عار عن العار · وجميع الحسن من ضيائي مستعار

وليس يصح في الاذهان شيء · اذا احتاج النهار الى دليل

اما كفاك بينة وزادك ذكرى وتبصره · قوله تعالى (فمحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصره) · و (هل يستوي الاعمى والبصير ام هل
تستوي الظلمات والنور) · واين منزل اهل الغفلة من منزل اهل
اليقظة والحضور · وان كنت مغنى الانس والافراح · تفعل بعقول
الناس فعل الراح · فهل حسبت ان السكون خير من الحركه ·

وقد اجمع العالم على ان « الحركة بركه » . فان لي بكل خطوة
حظوه . وليس لجوادي كبوة ولا لصارمي نبوه . وان صرحت بالذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما معرضا بكل غافل لاه . فلي في كل مجال
« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » واين من احتجب
بظلمات بعضها فوق بعض . ممن اضحى ينظر بعين الاعتبار في ملكوت
السموات والارض . الا وان اولي الالباب . راوءا الدنيا دار الاسباب .
فلزموا الادب مع الله باستعمالها وقلوبهم عاكفة على الباب . وقد
اتحفني الله بالصلاة الوسطى فاوتر بها صلواتي . وشرع فيها الاسرار
لاسرار اختصت بها اهل جلواتي * وكفاني شرفا * شهر رمضان
الذي انزل فيه القرآن * فياله من شهرٍ ايامه اعيادٌ ومواسم *
نفحاتُ انسه نواسمُ وثغور حسنه بواسم * فما ترى مأثورة في القديم
والحديث * ومفاخري منشورة في الكتاب والحديث * ومحاسني
واضحة لاولي الابصار * وهل تخفى الشمس في رابعة النهار *
فاكفف عن الجدال وامسك * ولا تجعل يومك مثل امسك *
وسالم من ليس لك عليه قدره * فقد قيل * ما هلك امرؤ عرف
قدره * اقول قولي هذا واستغفر الله من آفة العجب والكبرياء *
واسئله ان يخلص احوال اُسرتي . من اوحال التصنع والرياء * ولما
انهارَ رُكن النهار * ابهار الليل وتبرقع بالاكفهرار * فسد مابين

الخافقين بسواده*وطفق يرمى بسهام جداله في جلاده*وقدم بين يدى نجواه سورة القدر*آية على ما حازه من كمال الرفعة والقدر* وثنى بقوله تعالى ﴿ سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ﴾ فاشار الى الحبيب حين تجلت له قرة عينه ليلى*ثم قال سحقاً لك ايها النهار* فقد اسست بنيانك على شفا جرُفٍ هار*تناضلني ومني كان انسلاخك وظهورك*وتفاضلني وبي ارخت اعوامك وشهورك * قد اطعت هواك في عصياني وعقوقي *واضعتَ منـدبَ مطالبي وواجب حقوقي*الم يأن لك ان تخشع للذكر* فتعترف لي برتبـة التقديم في الذكر*وشتان بين المتوكل وصاحب السبب *وكم بين لذة الراحة ومرارة التعب*وهل الاعمى سوى المحجوب عن المحبوب* ﴿ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب ﴾ كيف تعيرني بلون السواد*وهل يقبح السواد الا في الفؤاد *ام كيف تعيبني بالخداع* ﴿ والحرب خدعه ﴾ وليس الشيء في موطنه بغريب ولا بدعه* اما تشهد العوالم من هيبتي حيارى ﴿ وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ﴾فكم ارّقتُ ملوكا اكاسره*وارقتُ دماء اسودٍ كاسره* وكم اوريت نار الوغى تحت العجاج * وقد ازورت اللحاظ واغبرت الفجاج*فانا البطل الذي لا يصطلي بناره* ولا يأخذ منه المؤثور بثاره*وافتخارك عليّ بالصلاة الوسطى*ليس انصافاً منك ولا قسطا*

وهب انك انفردت بتلك الصلاة الجليله*فاين انت مما اوتيته من
الصلاة الجزيله*الا وان اعمالي تزهو انوارها*وتزكو عند الحق
تعالى اسرارها*وهل من نوافلك كانت تلك الفريضة*حتى تطاولت
عليّ بدعواك الطويلة العريضه*اما كان افتراض الصلاة في ليلة
العروج *فما بالك تدعي الارتقاء الى هذه البروج* وما اعجبتني قط
دعوى عريضة*ولو قام في تصديقها الف شاهد واما افتخارك عليّ
بفضل شهر رمضان*وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن *فهل
صح لك صيامه الا بي بدا وختاما*وقد تميزت عليك بفضيلة احيائه
تهجدا وقياما*على اني محل النية ﴿ونية المرء خير من عمله﴾لانها
بمثابة الروح له وبها يحظى الراجي ببلوغ امله * هذا واني اتكفل
للصائم بمديد الراحة ووافر الاجر*حتى يتبين له الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر*وكيف تفتخر بالكتاب المنزه في مزاياه
عن المشاركة*والله تعالى يقول فيه ﴿انا انزلناه في ليلة مباركه﴾
وقد زعمت انك انفردت بجمع فنون المجد والفضل*ولم تخف يوم
الفصل ﴿وما ادراك مايوم الفصل﴾ هل في مطالع سعودك
اشرقت بدور العيدين*ام على جناح جنحك اسري بنور طلعة
الكونين*ثم عرج به عليه السلام الى منزله قاب قوسين *وهل في
تجليات اسحارك يقول الرب هل من سائل*فيناجيه العبد متضرعاً

اليه بقلب خاشع ودمع سائل*متوسلاً الى حضرته باعظم الوسائط
لديه واكرم الوسائل * ومما اختصصت به من الفضائل والمفاخر *
انه في دولتي وُلدَ سيدُ الاوائل والاواخر * وناهيك بليالي شهرِ
الله رجب*التي تاكد فضل مبتدئها بالخبر ووجب*وكيف لا وفي
طالعها السعيد حملت آمنه*باكرم نبيٍّ به امته من المخاوف آمنه*
فهي فاتحة الاوقات الزاهية الزاهره*وواسطةُ عقدها بحسن خاتمة
النبوة الباهره*فطلع النهار طلوع الاسد من غابه * وكسر جيوش
الدجى حين كشر عن نابه*وشمر للحرب العوان*غير ناكل ولا وان*
ناشراً في الافق رايته البيضاء*واسنته لامعة بين الخضراء والغبراء*
وقال والذي كساني حلل الملاحه*واطلق لساني بالبلاغة والفصاحة*
لاَمحونّ سطور الدجى من طروس الوجود*ولاثبتن حسن احوالى
في مقامات اهل الشهود*فاني معروف بالوفاء وصدق الخبر*موصوف
بالصفاء الذى لايشوب صفوه كدر* كيف يباهيني الليل بمكارم
الاخلاق ومحاسن الشيم*وانا اتحدث بنعم الله وهو موسوم بكفران
النعم*الست مظهر الهداية والدلالة*وهو مظهر الغواية والضلالة *
فكم ارشدت من اضله * واعززت من اهانه واذله *
وكم اظهرت منه عيباً كان غيبا * فابيضت عينه حزنا (« واشتعل
الرأس شيبا ») كل ذلك وما تخلى عن ظلمة ظلمه * ولا تحلى بحلية

الانصاف في نثره ونظمه

ومن جهلت نفسه قدره * راى غيره منه مالا يرى

وكيف يزعم هذا العبد الآبق*انه لسيده في حلبة الشرف سابق*وقد قال الواحد القهار (« ولا الليل سابق النهار») متى قام على منابر العلا بنو حام*او جلس احدهم في ديوان الفخر بين ابناء سام. ان هو وايمُ الله الا كافر . وبشموس انوار الشهادة غير ظافر . لو كان من السعداء لفاز بدار النعيم . ولولا شقاوءه لما شابه سواد طبقات الجحيم . وماذا يوءمله من الجزاء و يرجوه (« يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ») اما درى ان صحيفته سوداء مظلمه . وصحيفتي تفصح عن نفس موءمنة بالله مسلمه . وانى يرقى كتابه الى عليين . وهو من ظلمات الحجاب في سجين . ثم اقبل عليه . وانشد مشيرًا اليه

يا مشبها في فعله لونه * لم تعدُ ما اوجبت القسمه

خُلقك من خَلقك مستخرج * والظلم مشتقٌ من الظلمه

وقال له كيف تدعي فوق حالك*وايّ فضل لمن منظره اسود حالك اما علمت ان الظاهر للباطن عنوان . كما ان اللسان عن الجنان ترجمان . فان الحسن في الجميل . آية على انه رب الحسنى والجميل . اقول من الجزيل الاحسان نرجوه (« ابتغوا الخير عند

حسان الوجوه»)

لاتسئل المرء عن خلائقه * في وجهه شاهد من الخبر

فانا مفتاح خزائن الارزاق · وبي يستفتح باب الكريم الرزاق · وكفاني دليلا على الفضل والكمال («ان الله تعالى جميل يحب الجمال») لقد سمعت اقاويلك التى قدمتها بين يديك · وزعمت انها حجة لك وهي حجة عليك · ولا جرم ان («لسان الجاهل مفتاح حتفه») وكم من باغٍ قتل بصارم بغيه وحيفه · اما انسلاخي منك فمن املح الملح لي والغرر · وهل يحق لاصناف الاصداف ان تنافس نفائس الدرر · اليست(«تلد الامة ربتها»)حرة نجيبه · وقد قالوا («ان الليالي حبالى * يلدن كل عجيبه») واما تقدمك عليّ فمن العاده · تقدم الخدم بين يدي الساده

او ما ترى ان النبي محمدا * فاق البرية وهو آخر مرسل

على انه («اول ما خلق الله النور») كما ورد عن جابر في خبره المأثور · واما تحليّ صفوتك بتجلي الحق تعالى في السحر · فليس الا لمن احيا احيانك بالمجاهدة والسهر · على ان اوقاتي كلها اسحار · فكم جلوت بشموس الانوار غياهب الاستار · واما زهوك بقضية ظهور سيد ولد آدم * الذي هو نتيجة مقدمات الكون وزبدة العالم · فهل وقع اتفاق الرواة على ذلك · وانى لك هذا وصبح طلعته يمحو سوادك

الحالك · واما خبر الاسراء فعني روته الامه · ثم بلغه الشاهد للغائب
بعد امه · فما لاحت اسراره الا بطالعي · ولا زاحت استاره الا
بطوالعي · وما اشرت اليه من بقية معانيك · التي اضاءت بها في
الخافقين نجوم معاليك · فاين انت من يوم عرفه · الذي عرّفه
بابهى الخصائص من عرفه · واين انت من يوم عاشوراء · الذي
يعظم فيه الشكر والصبر على السراء والضراء · وناهيك بسمو شان
العيدين · فما اجلهما من موسمين سعيدين · وكيف تفاخرني بساعة
تبدو منك مرة في كل عام · ولي في كل اسبوع امد تمتد فيه موائد
الجود والانعام · على ان يومه لاشتات الكمالات جامع · يهتز فيه بذكر
الله تعالى كل جامع · فياله من يوم يستجاب فيه الدعاء · ويستجاد
الثناء على رب العزة والسناء · ولو تأملت مالي من بديع الاوصاف
والشمائل · لما اجترأت على مجاراتي في حلبة الفواضل والفضائل ·
هل في معاهدك كانت الصحابة تتلقى القرآن · وتترقى في مراتب
الاحسان بمشاهدة انسان عين الانسان · ام في مشاهدك وردت
وقائع الجهاد · وعبدالله وحده على رؤس الاشهاد · فاخبار اخياري
سارت بها الركبان · وماست بنسيم رقتها معاطف البان · وقدري
فوق ماتصفه الالسن · وعندي («ماتشتهيه الانفس وتلذ به الاعين»)
فدع عنك قول الزور والمين (« فقد بين الصبح لذى عينين »)

ولما افاض النهار · في حديث يفضح الازهــار · ابدع في كنايته وتلويحه · واغرب في تعريضه وتصريحه · فابتدر اليه الليل · واجلب عليه بالرجل والخيل · وامتطى جواده الادهم · واعتم بعمامة سوداء وتلثم · فانسى بفتكاته عنترة بني عبس · حين امسى يتوعد عمارة بالقتل والرمس · ثم نشر في الافق ذوائبه السود · وعبس و بسر فاسر بسطوته الاسود · وقال (« فلا اقسم بالشفق * والليل وما وسق * والقمر اذا اتسق ») لاسبين رومي النهار · ولاجعلنه عبرة لذوى الاعتبار · فلقد تزيا المملوك بزي الملوك · وادعى مقام الوصول صاحب السير والسلوك · اما كفاه ازدرائي وتحقيري · حتى حكم بتضليلي وتكفيري · كم اسبلت على عوراته ذيل ستري · وهو لا يبالي بهتك استاري · وكم اودعت مكنون سره في خزانة سري · وهو يبوح بمصون اسراري · اف له من فاضح · اما يكفيه ما فيه من المفاضح ·

انم بما استودعته من زجاجة * يرى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

كيف احتج لتقدمه بحديث جابر · مع ان مارواه لكسرى اعظم جابر · فانه برهن على تقدمي عليه · لو ادرك سرّ ما اوما اليه · وعلام جعل السواد على النقص علامة · وهو مشتق من السودد لدى كل علامة · اما درى اني حزت من الكمال الحظ الاوفر · حتى تحلى ببديع وصفي العنبر والمسك الاذفر

«ان كنت عبداً فنفسي حرة كرماً * او اسود الخلق اني ابيض الخلق»
وهل يزرى بالخال سواده البارع * او يغرى بالبرص بياضه الناصع
وفي بياض المشيب عبرة واي عبره * فكم اجرى من الآماق اعظم عبره
«له منظرٌ في العين ابيض ناصع * ولكنه في القلب اسودُ اسفعُ»

ومن عاب نعت الشباب وفضل وصف الشيب · فقد غاب عن شهود العيب وعالم الغيب ﴿فما كل بيضاء شحمه * ولا كل حمراء لحمه﴾ هذا وان السواد حلية اهل الزهد والصلاح · وهل يسترق الاسودَ الاسودُ احداقُ الملاح · بيد ان الحر لا يبالى بالجمال الظاهر · وانما يباهي بالفعل الجميل والقلب الطاهر · فان تفاوت المراتب · بحسب تفاوت المناقب

وما الحسنُ في وجه الفتى شرفٌ له * اذا لم يكن في فعله والخلائق

الا وان لى اخلاقا · لو مزج بها البحر لعذب مذاقا · فاني اكتم الاسرار · واعمي عيون الاشرار · واريح الكرام الكاتبين · وابيح الكرامة للطالبين وكم اعددت للانس مقاعد · وفي الامثال (« رب ساعٍ لقاعد ») فان ظلي ظليل · ونسيمي عليل بليل · تهدؤ بي الانفاس · وتسكن الاعضاء والحواس · وتتجلى بنات الافكار · وتجتلى البنات الابكار · وتمتد من اصناف الاحسان موائد · وتميد من اعطاف الحسان موائد · وهل للنهار محيا كطلعة القمر · او شعرٌ

كالدجى فلله سواد ذلك الشعر · او منطقة كالجوزاء · او قرطٌ كالثريا ذات السنا والسناء · او نهرٌ كالمجرة فياله من نهر· تزهو على الزَّهر نجوم رياضه الزَّهر · واية زهرة تباهي الزُهرة · ام اية قلادة تضاهي في نظمها النثره · وماذا اعدّ من شيم لاتنتهي عددا · ولو كان مداد البحار السبع لها مددا · ولما انهى مقاله وملّ مقامه · شمر للرحلة اذياله وقوض خيامه · فتهلل وجه الصباح وهلل بذكر فالق الاِصباح · وازدهاه السرور والابتهاج · كانه رب السرير والتاج

فكانَّ الصبح لما * لاح من تحت الثريا
ملكٌ اقبل في التا * ج يفدى ويحيا

وبرز الى المبارزة من يابها · اذ كان من فرسانها وار بابها · فسلب الليل لباسه · واذاقه شدته وباسه · وقال له ايها المعجب بنفسه · المغرب في نقشه صحيفة زوره بنقبسه («ما كل سوداء تمره*ولا كل صهباء خمره ») الم تعلم اننا ابهى محيا · وشتان مابين الثرى والثريا · اين سوادك من بياضي · وما زُهر نجومك ان تلألأ زَهر رياضي · وكم اطلعت بدوراً في مواكب السياره · فاضحت تزهو بجمالها على الكواكب السياره

اذا ركبوا زادوا المواكب بهجةً * وان جلسوا زانوا صدور المجالس

وهل لك مثل الغزاله · التي انفردت في الملاحة لا محاله ·

فانا الذي ضاء صباح الصباحة من محياه · وضاع عبير العنبر من نشر انفاسه وطيب رياه · ولولاي ماعرف الحسن والجمال · ولاسعى على قيمة الارض بدر الكمال · ولا تميز الحي من الميت · ولا بدا للعيان سرُّ هذا البيت

ثلاثة تجلو عن القلب الحزن * الماء والخضرة والوجه الحسن

فبي تفوح روائح الازهار · وتلوح لوائح الانوار · وتقتبس الفوائد · وتلتمس الفرائد · وما لاح جيدي الحالى وجيدك العاطل · الا تلا لسان الحال (« وقل جاء الحق وزهق الباطل ») وقد قدمت اني لك فاضح · او ماعلمت ان(« الحق ابلج »)واضح · فاني نظرت اليك بنور علام الغيوب · فظهر لى مابطن في سرك من العيوب · فجعلت مطوي معائبك كتابا منشورا · وصيرت منظوم كواكبك هباءً منثورا · فانا الناقد البصير · والله الوليّ لي والنصير · وكيف تحاول من لواك عن اتباع هواك · وانت تدعى رتبة الكمال فهلانهاك نُهاك

ومن البلية ِعذلُ من لا يرْعوِي * عن جهله وخطابُ من لا يَفْهَمَ

وهب اني واشٍ بالاسرار نمَّام · اومرتكب في الانام جميع الآثام · فلست اقود المعشوق الى العاشق · فاسترها بردائي عن

الرقيب والراشق · وقال مشيراً الى ذلك · من سلكت به هاتيك المسالك

بتنا على حالٍ يسر الهوى * وربما لايمكن الشرح

بوّابنا الليل وقلنا له * ان غبتَ عنا هجم الصبح

فوجم الليل لبراعة تلك العبارة · و بلاغةِ مالاح له من الرمز والاشارة · ثم وثب للمقال · كانما أُنشط من عقال · وقال(«ربَّ ملوم لاذنب له ») ومظلوم خيب الدهر امله · فالى متى يسوئنى النهار · وحتى متى يسومني عذاب النار · طالما اعرته اذنا صماء · وعينا عمياء · وهو لاينثني عن المقابله · ولا يرعوي عن المحاربة والمقاتله · ومن العجب انه عدّ تحدثي بالنعمة اِعجابا · وجعل تصدري في ديوان المآثر شيئاً عجابا · وصرّح بوضع احاديثي وهي متواترة باشتهار · وقد قيل (« كلام الليل يمحوه النهار ») ولما لاح ذنب السرحان في افق المشرق · صاح متمثلاً بقوله ﴿ البلاء موكّل بالمنطق ﴾ فقام يعثُر في ذيله · وقد كفكف واكف سيله · فمالبث ان تنفس الصباح · واظهر من سناه ما اخفى ضوء المصباح · ورفرف بجناحه الابيض على الدجى · فاقتنصه من وكره بعد ما سكن وسجى

فكأنّ الصباحَ في الافق باز * والدجى بين مخلبيه غراب

وقال تباً لك ايها الليل · فلقد اوتيت من المين اوفر نيل · ايّ حديث لك صحيح وضعته · واى حقٍّ لك صريح اضعته ·

عليك بالصدق ولو انه * احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فاغبي الورى * من اسخط المولى وارضى العبيد

نعم لك في السمر خبرٌ مرفوع · بيد انه مكروه في السنة موضوع · قد اشتهرت لكن باقبح الاوصاف · وعدلت لكن عن سبيل العدل والانصاف · تكتم عن المرء ما يرديه * وتخفي في نفسك ما الله مبديه * وفي المثل * الليل اخفى للويل * فما اصعب مراسكَ قبل افترار سهيل · وهل يترنم بذكرك الاغافل · وأنى يغترّ بك عاقل ونجمك آفل · وكيف تفتخر عليّ · وانت تفتقر اليّ · طالما ايقظت من اغفلته · واطلقت من قيدته واعللته · وبيضت ماسودته من الصحائف · وبينت ما اخفيته من اللطائف · فقابلت الاحسان بالكفران · وعادات العدل بالعدوان · فراقب الحق في سرك وعلانيتك · فانه سبحانه مطلع على نيتك · ولما سلب النهار باساليب بيانه العقول * سكت الليل مليا ثم انشأ يقول

فعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ * كما ان عين السخط تبدي المساويا

كيف اتصدى للكذب · واتردّى باللهو واللعب · وانا المنعوت باللطف والظرف · والموسوم بالصمت وغض الطرف · كيف اورث الغرور · واوثرُ الغفلة على الحضور · وانا الداعي الى ذكر الله وحده · والساعي في رد الكثرة الوهمية الى عين الوحده · كيف

اكفر بالعشير . ولولم يقابل بالعشير*وانا الموصوف بالستر الجميل*
والمعروف بشكر المعروف والجميل * وهل احجب البصر عن شهود
عالم الكثافه * الاّ لا كشف لعين البصيرة عن عالم اللطافه*وبذلك
يتحقق العبد بفنائه عن وجوده*فيمده الرب تعالى بسر بقائه من
خزائن جوده * فلو راعي النهار حقوق المجاوره * لما راعني
باسنة المناظرة والمحاوره*وما نم بسره و باح* حتى بان محيا الصباح*
فحمل على عسكر الدجى بعموده*فنثر من دُراريه نظيم عقوده* ثم
لاح في وجه الشرق حاجب الشمس * فاستنقذ ما استرقه
لصُ الليل من الحواس الخمس*فكانه جذوة نار. او قطعة من دينار
ترى الارض منه وقد فضضتْ * ولون السماء وقد ذُهّبا

ثم قال النهار لليل*قد هجم عليه هجوم السيل *ايها المدعي
مقام الدعوة الى الله * وهو في حال الغفلة عن مولاه لاه * كيف
تسنمت ذروة هذا المنبر * كانك تكتب بالمسك وتختم بالعنبر*
لقد اطالت فيها ﴿ لاطائل تحته ﴾ولا معنى*فكم ذا ﴿ اسمع جعجعةً
ولا ارى طحنا ﴾ فلو كنت ممن انتحب غرر الشيم وانتقى*لا تعظت
بقوله تعالى ﴿ فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ﴾فتنبه من غفلتك
ايها الليل*قبل ان تدعو بالثبور والويل*والاّ . فرّقت طلائع سوادك
اي تفريق*ومزقت سوابغ ظلامك اي تمزيق﴿فما كل مرة*

تسلم الجرّة ❊ فاسود وجه الليل * وانقلب بحشفٍ وسوء كيل *
وندم على مناضلة النهار * ندامة الفرزدق حين فارق النوار *
❊ولما سقط في يده ❊ورزيء في عدده وعدده * تردى بالسواد *
ولبس ثياب الحداد * ثم لاح هلاله للعين * كمنجل صيغ من لجين *
فانشد وقد ارّقه البين

أُنظرْ الى حسن هلالٍ بدا * يجلو سنا طلعته الحندسا
كمنجلٍ قد صيغ من فضة * يحصد من زهر الدجى نرجسا

وقال من ينصفني من هذا الجائر * وينصت لي فابثه شكوى
الواله الحائر * قسماً بالحجر الاسود العظيم المبره * وكل اشعث اغبر
لو اقسم على الله لابرّه * ما اضمرت للنهار شرا * ولا اذعت له سرا *
لختام اعاني حدّ الظبا ❊ وقد بلغ السيل الزُّبى ❊ ولله در المعني *
حيث قال في هذا المعنى

وكنتُ كالمتمني ان يرى فلقاً * من الصباح فلما ان رآه عمي

فانتبه طرف النهار * وازدهر سراجه ايّ ازدهار * وشرع يتلو
سورة النور بكمال الابتهاج * والشمس ترقمُ آية جماله بالذهب الوهاج
وقابل الصبح جنح الليل فارتسمت * سطوره البيض في الواحه السود
ثم قال ايها الليل البهيم ❊ تالله انك لفي ضلالك القديم ❊ كيف
تدعي انك مظلوم * وتشتكي من جوري وانت الظَّلوم * وهب اني

قاتلتك ظلما فانت البادي*وهل قابلتك الا بما واجهتني به في
المبادي*وها انا برهنت على فضلي بشهود عدول * ليس للمنصف
عن تزكية شهادتهم عدول* فاستقل من دعوى المجد والفخر*
فقد ﴿ حصحص الحق ﴾ ووضع الفجر*وان أبيت سلوك محجتي*
ولم تنصح لك ادلة حجتي*فهلمّ الى حضرة الامير﴿ ولا ينبئك مثل
خبير﴾ فانكر الليل زعمه التفرد بالفضل وادعاءه * واجاب في
عرض امرهما على الامير دعاءه* وقال ﴿ على الخبير سقطت ﴾
﴿ وعند ابن بجدتها حططت ﴾فانه الحاكم العادل*والعالم العامل*
فامليا عليه جميع الواقعة والمجادله*وما جرى لهما في المفاضلة من
المناضله*وسالاه ان يكون بينهما حكما*و يوليهما من لطائف موافقه
حكما*فقام في ذلك المقام خطيبا*وقال ملبياً دعوتهما ومجيبا*
حمداً لمن اعطى كل شيء خلقه ثم هداه*واسداه من جزيل نعمه وجميل
كرمه ما اسداه*وصلاةً وسلاماً على امام الاصفياء الاطهار *
المنزل عليه ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار ﴾ وعلى آله
وصحبه الذين طلعوا في سماء العلا شموسا و بدورا * فازدان بهم
الوجود حسنا وجمالا وازداد بهجةً ونوراً*و بعد فيا ايها الملوان *
اما علمتما انكما اخوان*قد ابرزكما الحق مثالا لعالم الغيب والشهاده*
وضربكما مثلا معلنا بوجوب الاقرار له بالشهاده*فلا ينبغي لاحد

ان يتجاوز حده ومداه* فان لكلٍ مقاما معلوما عند ربه لا يتعداه* على انكما في المجد والشرف ﴿ رضيعا لبان ﴾ وفى مضمار العز والفخر ﴿ فرسا رهان ﴾ واما كونكما ابني ضرتين ظلمة وضياء * فان الدهر يجمع بينكما في الانتساب اليه والانتماء * فليشدّ كلٌّ منكما عضدَه باخيه * وليحذر من تفريطه في حقوقه وتراخيه * وعليكما باطراح رداء الافتخار * فان العبد لا يسودُ الاّ بالافتقار * بارك الله فيكما وبلغكما المرام * ما سطعت شمس الاكوان ولاح بدر التمام * ولما اصلح ما بين الليل والنهار * بهر الالباب بعوارف معارفه ايّ انبهار * فلله فوائد كفرائد اللؤلؤ في السلك * او كؤوسٍ من رحيقٍ مختوم ﴿ ختامه مسك ﴾ وقد قلت مادحاً لحضرته الشريفة * مقتبساً من مشكاةِ اسراره المنيفة

قد اسفرت بين العذيب وحاجر ... خودٌ سبت اهل الهوى بمحاجر

هيفاء طرتها غدت تحكى دجى ... ليل وغرتها كصبح زاهر

لما بدت تختال تيها خلتها ... بدراً على غصن رطيب ناضر

جلت بياقوت المباسم لؤلؤاً ... اجريت منه عقيق دمع هامر

اسرتْ فؤادي في الغرام واطلقتْ ... دمعي ومالي في الهوى من ناصر

ضنّت بحسن وصالها ياليتها ... منّت عليّ ولو بطيف زائر

انى يشاهد طرف صبٍ ما درى ... طعم الكرى طيف الغزال النافر

يا عاذلي كن عاذري فالوجد في حكم الهوى تالله اعظم جائر
لو ابصرت عيناك منية خاطري يوماً لكنت بها اجلّ مخاطر
هيهات يصحو من سلافة حبها ياصاح صاحٍ اسكرت بنواظر
اربت على كل الملاح لطافـةً وتفردت ببديع حسنٍ باهر
كالشمس ان سفرت وغصن البان ان خطرت وان نظرت فأُخت جاذر
يصفو بطيب وصالها عيشي كما يحلو المديح بذكر « عبد القادر »
مولى حكت اخلاقه في لطفها مسرى النسائم في رياض ازاهر
بزغت ببدر كماله شمس العلا فدعا الى نهج النبيّ الطاهر
اكرم به براً غدا بحراً طما في كل علمٍ باطنٍ او ظاهر
اضحى باسرار الغيوب محدثا يبدي حقائقها بلطف اشائر
فانظر « مواقفه » وحسبك انها تروي صحيح حديثه المتواتر
الله اكبر كم بها من آية قد افصحت عن كل معنى نادر
تهْ يازمان به وطاول ان تشا نجم السهى بمناقب ومآثر
فهو ابنُ اكرم شافع ومشفع واجلِّ مذكور واشرف ذاكر
قد حاز انواع المعالى جملةً بوارثةٍ من كابر عن كابر
ان رُمته في حلّ مشكلة جلا درر المعاني في ارقّ مظاهر
واذا سألت عن السماحة كفه انباك عن قطر وبحر زاخر
ولو اطلعت عليه في يوم الوغى لرأيت ليثاً اسيءً ليث كاسر

يامفردا في جمع اشتات العلا قد فقت كل مفاضل ومفاخر

لله دركَّ سيداً اوصافه عزَّت وجلت عن وجود نظائر

ان عدت العلماء فهو امامهم ويرى لدي الامراء اعظم آمر

ان الكمال باسره في اسره فعلاه قد ازرى بكل مناظر

سعدت بسيرة فضله اوقاته فتقلدت منها عقود جواهر

ايامه جمعٌ واعيادٌ ليا ليها ليالى القدر ذات بشائر

من امه في حاجة يحظى بوقتٍ اجابة ومديد فضلٍ وافر

لا زال بدراً في سماء المجد محفوفاً بعز كالنجوم زواهر

يشدو لسان الحال فيه مؤرخا تملَ الوجود بسرّ « عبدالقادر »

٤١٢ ٢٦٢ ٥٠ ٥٧٠

المقامة اللغزيه * والمقاله الادبيه

حدث الفتح بن غانم * قال أُبتُ من بعض السرايا باوفر المغانم * فعرّجت بصحبي على مدينة السلام * فقابلتنا وجوهها بالبشاشة والسلام * وكنا تآلفنا في مجمع الموافقة * وتحالفنا على دوام المرافقة * فلم نغادر بها مغنى خصيباً الا حللناه * ولا معنى غريباً الا حللناه

رأينا بها مايملأُ العين قرّةً * ويسلي عن الاوطان كل غريب

وبينا نحن في نادٍ رحيب * ووادٍ غصنُ دوحه رطيب * نتعاطى كؤوس المحاضره * ونتهادى فنون المحاوره * وقد نصبنا خيامنا على شاطيء دجله * والساقي يناوله من فرات زُلالها سَجله * وغل علينا فتى عليه سيما الأشراف * كأَنه من سراة بني عبد مناف * فحيا بالطف اشارة * وسفر عن احسن زيٍ وشارة * ثم اصغى لحديثنا برهه * فألفانا نؤلف من فرائد

الفوائد كل نزهه * نتوارد شوارد الاحاجي والالغاز * ونتطارد في ميدان الحقيقة والمجاز * فتعرّض للمنافثه * واستهدف لسهام المباحثه * فطفقنا نرشقه بكل معمى دقيق * ونلغزله في كل معنى رقيق * وهو يحل عقد تلك الرموز * ويفتح مغاليق هاتيك الكنوز * فلما كبا جواد المساوره * وخبا زنادُ المحاوره * نظر الينا شزرا * وقال لقد عظمتم نزرا * اما ان هذا الفن معجب * قد اشتمل على المرقص والمطرب * ولكن ينبغي ان يكون في معنى زاهر * ولفظٍ يزهو ببديع توريته على لطيف الازاهر * وان يخلو عن التعقيد والاِغراب * ولا يخفى فيه عن اللبيب وجه الاعراب * فاقترحنا عليه لغزا اديبا على هذا الاسلوب * فانشأ يقول وقد استهوى ببراعة عبارته القلوب * ماشيءٌ يروقُ الخواطر * ويفوق الجواهر * ينفثُ السحر الحلال * ويبعثُ بارباب الهيبة والجلال * تتبسمُ به ثغور الاماني * وتتنسمُ نفحات الاُنس والتهاني * اطيب من نسمة سحر . واطرب من نغمة وتر * وقد قال فيه * بعض واصفيه

نسيم عبيرٍ في غلالةِ ماء * وتمثال نورٍ في أَديمِ هواء

ينشأ عن رقةِ الطبع وجودة الفكر * وينشيءُ حسن الثناء وجميل الذكر * ويغني ذوي النفوس العصاميه * عن التنافس

في النفائس العظاميه * فانه للحقير اكرمُ نسب * وللفقير اعظمُ نشب * وللغنيّ جمال * والامير كمال * كيف لا وهو في ديوان المآثر قطبُ رحاها * وفي أُفق المفاخر بدرُ سناها وشمس ضحاها * فكم تملكه مملوك * فاسترق برقته الملوك * بيد انه كان ذا دوله * وصاحب سطوة وصوله * ثم انتهكت شريعته * وامتهنت عشيرته * ولعبت باهله ايدي المحن * وقلبت لهم ظهر المجن * فتمزقوا شذر مذر * وتفرقوا شغر بغر * فما ترى منهم الا

اخاسفر جوّاب ارضٍ تقاذفت * به فلواتٌ فهو اشعثُ اغبرُ

وان بقى منهم الاّ بقايا * وهم الآن في الزوايا خبايا *
فمنهم من ابتذلوه وتعدوا حدوده * وشروهُ بثمنٍ بخسٍ دراهم معدوده * فما ربحت تجارتهم * ولا رشحت حجارتهم *
ومنهم من كتمه كتم الاسرار * وكنزه كما يكنز الشحيح الدينار * حفظاً لحرمته اللائقه * وصوناً لديباجته الرائقه

فان اراقةَ ماء الحيا * ةِ دون اراقةِ ماء المحيّا

الا وان هذا الاسم الرفيع * محتوٍ على كل معنى بديع *
وهو ظرفٌ لكل ظرفٍ وزين * وتريٌّ الصدر شفعيّ العجزين * طرفاهُ لم يعرَ عنهما انسان * الا نبيان منحهما الحق

كمال الاحسان *وقلبه فعلٌ تطلب من فاعله الاعاده * اذا كان فيما يعود بحسن الافاده * نسبة اوّله الى آخره في الحساب* كنسبة الآخر الى متلوّه دون ارتياب * وها انا عرّفته بصفته * وجلوت درته من صدفته * وفي هذا القدر كفايه * لمن يفهم الرمز والكنايه * فتحير القومُ في معناه * ولم يدركوا سرّ معماه * ولما ان حصحص الياس * نثروا له جواهر الاكياس * فشنف الاسماع بدرّ لغزه * ورنح الاعطاف بسر رمزه * فطرب كلٌّ منا وطاب * لما اورده من خطابه المستطاب * وقلنا له لافض فوك * ولا برَّ من يجفوك * فلقد جلّيتَ في حلبة الادب بجياد البراعه *وحليت جيد العرفان بعقود البلاغة والبراعه * فاخذته الاريحيه * واحسن في رد التحيه * ثم رصع لغزه بجوهرة تفضح البدور * وذيلهُ بما تبتهج به النفوس وتنشرح الصدور * فقال قد رُوِي في صحيح الاخبار * عمن سلف ذكرهم من الجهابذة الاحبار * انه لما ذهبت ريحهم * وامتدت اشجانهم واشتدت تباريحهم * يمموا حضرة ذي المجد الاثيل * من ليس له في الفضل مثيل · المفرد العلم · والمبرز في فضيلتي السيف والقلم · عون الضعيف وجابر الكسير · وغوث الملهوف وغياث المستجير · السيد السني والسند السري · الامير عبدالقادر الحسني الجزائري · فانقذهم من

نايباب النوائب · وخلصهم من مصائد المصائب · وآتاهم من مننه بغير حساب · فشكروه شكر الروض فضل السحاب · ولما ظفروا بحسن العاقبه · وامنوا غوائل الدهر وعواقبه · تاهوا على الوجود زهواً وسكرًا · وسجدوا لله عز وجل حمدا وشكرا · قال المخبر بهذه الطرفة العجيبة · والملحة البديعة الغريبه · فلما اتم الفتى مقالته · وانهى بذكر ابهى الأمراء مقامته · اوحى اليَّ باشارة طرفه ·

انه سحر ببديع بيانه وظرفه · ثم اخذ بيدي نحو الطريق

وقال هل لك في رفيق رفيق · فعرفت انه شيخنا

ابو المكارم · نخبة ذوي الفضائل والمكارم

وكان اجتماعي به في هاتيك الخيام

آخرَ العهد ببغداد

وهو حسن

الختام